عبر من قصص القرآن الكريم

أصحاب السبت

بقلم

محمد رجب

مكتبة العبيكان

obeikandl.com

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

لجنة التأليف والترجمة بمكتبة العبيكان

أصحاب السبت.- الرياض.

٤٣ ص، ١٧X ٢٢ سم - (عبر من القرآن الكريم)

ردمك: ٨ - ٩٩٣ - ٢٠ - ٩٩٦٠

١- قصص القرآن أ - العنوان ب - السلسلة

ديوي ٢٢٩,٥ ٢٢/١٥٣٧

ردمك: ٨- ٩٩٣ - ٢٠ - ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٢٢/١٥٣٧

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشـــر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٦٣ – ١٦٧]

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [البقرة: ٦٣ – ٦٥]

obeikandl.com

مقدمة

يربي القرآن الكريم الناس بوسيلة شيقة، وطريقة محببة، إنها التربية عن طريق القصة؛ لكي يخرج منها القارئ بدورس وعبر تصلح حياته وآخرته.

على أنه لم يحظ شعب من الشعوب بإرسال الرسل للتربية والنصح كما حظي بنو إسرائيل، فهم أكثر الأقوام أنبياء وعلى الرغم من ذلك ظلت جبلتهم كما هي، وطبيعتهم لم تتغير إلى يومنا هذا.

ولعل قصة أصحاب السبت توقفنا على بعض ما اتصف به هؤلاء من عصيان للرسل وإلحاحهم في الحوار وعناد الله ورسوله، فحق عليهم عذاب الله في الدنيا قبل الآخرة، والصفحات الآتية تحمل أحداثًا تدل على خبثهم، ولعل القارئ يجد فيها من العبر ما يفيده في معاملته مع أمثال هؤلاء، وما يجب أن يكون عليه هو.

فإلى أحداث القصة في الصفحات التالية:

والله الموفق

obeikandl.com

المعركة العظيمة

تاه بنو إسرائيل في الصحراء أربعين سنة جزاء بغيهم وعصيانهم وتمردهم على أوامر الله وعدم اتباعهم لنبيهم موسى عليه السلام.

ومات نبي الله موسى وأخوه هارون – عليهما السلام –، ثم أوحى الله إلى العبد الصالح يوشع بن نون فصار نبيًا، ثم سار إلى مملكة القدس، ففتحها بجنده، ونصره الله نصرًا مبينًا.

وتوالت الأنبياء على بني إسرائيل، لكنهم ظلوا على عصيانهم وإفسادهم في الأرض بغير الحق، فسلط الله عليهم الظالمين فكان ممن سلطهم الله عليهم الملك جالوت ملك الكنعانيين، كان يحكم ما بين مصر وفلسطين، سار إليهم فملكهم وضرب عليهم الجزية وأخذ منهم التوراة. فدعا بنو إسرائيل الله أن يرفع عنهم البلاء ويرحمهم من ظلم جالوت وحكمه المستبد، وكان سبط النبوة وعيالهم قد هلكوا وماتوا ولم يبق منهم غير امرأة حُبلى، فحبسها بنو إسرائيل في بيت حتى تلد، فلما ولدت غلامًا سمته شمويل ومعناه سمع الله دعائي؛ لأنها كانت تدعو الله أن ترزق بغلام حتى يصير نبيًا من نسل الأنبياء لبني إسرائيل، ويخلصهم الله على يديه من ظلم جالوت وبطشه.

كبر شمويل وشب ونشأ فيهم، وأنبته الله نباتا حسنًا، فلما بلغ سن الأنبياء أوحى الله إليه وأمره بالدعوة إليه وتوحيده، فدعا بني إسرائيل فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكًا يقاتلون معه أعداءهم فقالوا له:

﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

قال لهم وهو يعرف عنهم غدرهم للعهود:

﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا﴾؟

قالوا: ﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ عندئذ دعا شمويل ربه، فأمره الله أن يجعل طالوت ملكًا عليهم، وكان رجلاً فقيرًا؛ لكنه ذو قوة وصحة وقدرة على القتال، فقالوا له:

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾ أي نحن من كبار المملكة وأغنى بني إسرائيل وطالوت هذا فقير معدم!!

ويعد هذا اعتراضًا منهم على نبيهم، وتعنت، وكان الأولى بهم طاعة وقول معروف.

كما أنهم دائمًا ينكثون العهود ويرجعون فيها، فالعهد عندهم ضرورة في مرحلة معينة، ثم ينقضونه بانتهاء الظروف والمنافع، ولقد ذمهم الله

بقوله: ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].

ومن شر عاداتهم حقدهم وحسدهم على كل من يؤتيه الله خيرًا، لقد ثاروا على طالوت وعلى شمويل، لأن طالوت فقير، حسدوه لأن الله اختاره ملكًا عليهم، مع أن فيهم من هو أغنى منه، واتهموا نبيهم بالكذب وقالوا له عندما أخبرهم بتولية طالوت عليهم: إنه ليس صادقًا فيما يقول. فرد عليهم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾.

ملك طالوت عليهم بأمر الله – عز وجل – وهم كارهون له حاقدون عليه، خرج منهم رجل مجادل مفسد وقال لشمويل النبي في غرور وتحدٍ:

إن كنت تزعم أن الله ولاه علينا ملكًا – ونحن أحق بالملك منه – فنحن نريد آية على صدقك وبينة من الله على تولية طالوت علينا!!

دعا: شمويل ربه أن يؤتيهم آية على صدقه وبينة لصالح طالوت، استجاب الله دعاءه وأوحى إليه بما سيحدث، قال لهم نبيهم:

﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

ولهذا التابوت قصة عظيمة...

كان من الأنبياء الذين بعثهم الله لبني إسرائيل اليسع، عاش معهم ما قضى الله ثم مات، وكان عندهم تابوت عظيم قال عنه الله إن ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾،

كان بنو إسرائيل إذا لقيهم عدو يقدمون التابوت أمام الجيش فينتصرون على عدوهم نصراً مؤزراً(١) ثم بعث الله عليهم ملكًا يقال له «إيلاف» وكان الله يحفظهم من كل سوء، فلما عصوا الله وتركوا طاعته بعث عليهم عدواً عظيمًا فهزمهم ونهب وسلب وأخذ منهم التابوت، فمات ملكهم حزنًا عليه، ثم مكثوا على غيِّهم عهداً أذلهم الله فيه، وهكذا بنو إسرائيل دائمًا على هذه الحال: يعصون الله، فيبعث عليهم من يذيقهم سوء العذاب، فإذا رأوا ذلك تابوا ورجعوا إلى الله، فينصرهم الله على عدوهم، ثم يعزهم ويمكّن لهم في الأرض، ثم يعصون مرة أخرى وهكذا...

فلما راجعوا التوبة بعث الله لهم نبيهم شمويل وملكهم طالوت... فلما أرادوا بينة، وسأل النبيُ الله أن يريهم بينة على صدقه في تمليكه طالوت عليهم أن يرد الله عليهم التابوت الذي كان أخذ منهم، جاءت الملائكة

(١) مؤزراً: عظيماً.

تحمل التابوت بين السماء والأرض حتى وضعته بين يدي طالوت والناس ينظرون، فيه سكينة من ربكم أي ما تعرفون من آيات الله فتسكنون، وفيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون وقيل: عصا موسى وعصا هارون، وثياب موسى وهارون، والألواح التي فيها شريعة موسى – عليه السلام –، فرضي بنو إسرائيل بعد أن رأوا ذلك بتمليك طالوت عليهم كارهين.

استعد بنو إسرائيل لقتال جالوت وجنوده، وكان جيش طالوت ثمانين ألفًا، خرجوا للقتال فمرّوا على نهر الأردن، وكانوا عِطاشًا وفي حر شديد، فطلبوا من طالوت أن يشربوا من النهر فقال لهم:

﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

قال لهم: إن هذا النهر ابتلاء من الله لكم لينظر مدى صبركم وتحملكم، فمن عصاني وشرب من النهر فلا يصحبني، ومن اغترف منه غرفة واحدة بيده رواه الله وشبع وصحبني وكان مطيعًا لله. ولكنهم كعادتهم في العصيان شربوا منه جميعًا إلا قليلاً منهم، فترك من شرب من النهر واصطحب معه البقية، وكانوا كعدد أهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر، ساروا مع طالوت، نظروا إلى عددهم فوجدوه قليلاً فخافوا من جيش جالوت فقال معظمهم:

﴿ لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾

قال لهم الذين يظنون أنهم ملاقو الله:

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

وكان ممن بقي من الصابرين في جند طالوت أبو نبي الله داود عليه السلام.. كان هذا الرجل له ثلاثة عشر ابنًا، وكان داود أصغر بنيه، خلَّفه يرعى لهم ويحمل لهم الزاد، وكان داود شجاعًا لا يخاف شيئاً، حكى لوالده يومًا قائلاً:

يا أبتاه، ما أرمي شيئًا إلا صرعته، ولقد دخلت بين الجبال يومًا فوجدتُ أسداً ساكنًا فركبت عليه، وأخذت بأذنيه فلم أخف منه، وإني لأمشي بين الجبال فأسبّح الله؛ فلا أجد جبلاً إلا سبّح معي..!!

أبشر يا بني فهذا خير أعطاه الله إياك.

فلما تقدموا من جيش جالوت، وتراءت الفئتان، تقدم داود عليه السلام من طالوت ووقف بجانبه، ثم أمسك بحصوات ثلاث كانت معه، فقذف جالوت وهو يراه على البعد على فرسه يختال، فجاءت الحصوات بين عينيه فخر صريعًا، فجبن جيشه عن لقاء جيش طالوت لما مات مليكهم وفروا، وانتصر طالوت بفضل الله ثم بفضل رمية داود عليه السلام.

أمر الله طالوت أن يسير إلى قرية مدين فيقتل كل من بها، أوحى الله إلى النبي شمويل بذلك فبلغه إلى طالوت، غزا طالوت مدين، وقتل جميع من بها ما عدا ملكها أسره ورجع به، غضب الله على طالوت لعصيانه أمره، فأمر شمويل أن يخلعه من الملك ويولي داود عليه السلام ملكًا بدلاً منه، ومات طالوت بعد حين، بعد أن تاب الله عليه.

لما ملك داود عليه السلام جعله الله نبيًا وأنزل عليه الزبور، وعلمه صناعة الدروع وهو أول من صنعها، ألانَ الله لداود عليه السلام الحديد، وكان ذا صوت جميل في القراءة.. كان إذا قرأ الزبور تدنو منه الوحوش، حتى يأخذ بأعناقها وهي مستمعة له خاشعة بين يديه..

وملك داود عليه السلام على بني إسرائيل، وصارلهم نبيًا، كان ملكه عظيمًا واسعًا وكان يأمرهم بالطاعة والخير، وينهاهم عن العصيان والآثام، ذلك فضل الله على داود – عليه السلام –، والله يؤتي ملكه وفضله من يشاء والله واسع عليم

عودة إلى الظلم

حكم داود عليه السلام بني إسرائيل بشرع الله الحكيم، كان داود عليه السلام شديد الاجتهاد في العبادة، كثير البكاء من خشية الله تعالى، كان يقوم من الليل ويصوم النهار، كان، يصوم يومًا ويفطر يومًا وذلك أفضل الصيام كما قال الرسول ﷺ.

أما بنو إسرائيل فقد كانوا طائفتين: طائفة مطيعة لله ورسله تقوم بفرائض الله ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩].

وطائفة فاسدة عاصية لله ورسله، تقوم بما يرضي الشيطان اللعين.

كان داود عليه السلام يحثهم كثيرًا على الخير، ويأمرهم بالبرِّ والتقوى، وكانوا كثيرًا ما يسخرون من أوامره ويجتنبون لقاءه، ويصرون على عصيانه والتمرد عليه، كان داود عليه السلام ملكًا عليهم ولكنه كان يعاملهم بحلم وصبر ورحمة، فهو نبي قبل أن يكون ملكًا، والنبي يجب أن يبلغ ما أمره الله به بصبر وحكمة ورحمة.

رسالة الأنبياء هي التبليغ، وعلى الله الهداية، لكن بني إسرائيل كانوا يظنون أن النبي مكلّف بإطاعة أوامرهم، كانوا يكذبون على أنفسهم وعلى الناس ويقولون إنهم شعب الله المختار، وإنهم سيدخلون الجنة دون غيرهم من

الناس، لكنَّ نبي الله داود كان يقول لهم إن المؤمنين بالله المطيعين لأوامره هم الذين سيدخلون الجنة دون غيرهم.

آتى الله داود ملكًا عظيمًا حيث حكم بلادًا واسعة لبني إسرائيل الذين وسع الله عليهم في الرزق، فقد كانت تجارتهم رابحة، وحياتهم سهلة.

عاش كثير منهم على سواحل البحر يصطادون الأسماك والحيتان، ويبيعونها بأثمان مغرية، وكانت تقع على ساحل البحر مدينة تسمى آيلة، تقع بين مدين والطُور، وكان أهلها يعيشون في رغد وهناءة، كما كانوا يذهبون إلى نبيهم داود عليه السلام كل يوم ليتلو عليهم الزبور ويعلمهم أحكامه ويذكرهم بفروضهم: كان داود عليه السلام يخلو بنفسه إلى ربه أحايين كثيرة يصلي ويتعبد.

تعجب بنو إسرائيل من طول استغفار وبكاء داود عليه السلام، فقال لهم بحب وشفقة:

- إن الله يحب التوابين والمستغفرين، وإني إمام في الأرض على رعية وسيسألني الله حين يبعثني عمّا فعلتُ مع رعيتي، ولقد حذرني من اتباع الهوى.. ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ**

عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿ [ص: ٢٦].

لم يقتنع بنو إسرائيل بكلام داود عليه السلام.. كانوا دائمًا معاندين مجادلين.. وبينما هم عنده إذ أقبل واحد من أتباعه قائلاً:

– أدرك قومك يا نبي الله... لقد رفضوا الحضور إلى حضرتك اليوم قائلين إنهم سوف يغيرون يوم عبادتهم من الجمعة إلى السبت..!!

– مَنْ مِنَ القوم فعل ذلك يا رجل؟

– إنهم قوم آيلة.. على ساحل البحر..

– سوف أخرج معك إليهم الآن.

حاضرة البحر

امتلأت حانات آيلة بالرجال والنساء، يمارسون الفجور والعربدة والعصيان من شرب خمر وإتيان ما يغضب الله، نسوا الله فأنساهم أنفسهم، وجلس في آخر حانة من الحانات مجموعة من الرجال، يزيد عددهم على السبعة، كبار القوم، كانوا يتناولون الكأس تلو الكأس، ولعبت الخمر بعقولهم واجتمعت حولهم الشياطين، كانوا يدبرون لأمر جلل، وعصيان وتمرد كبير، قال رجل ماكر منهم يُدعى يهوذا:

– ما بالكم يا رجال؟ ما لي أراكم مذبذبين حائرين، أعجزتم وأنتم في مكانتكم هذه بين قومكم أن تجتمعوا على رأي وتثبتوا على قرار حكيم؟!

– كلا يا يهوذا .. أنت تعلم أننا لسنا جبناء ولا متخاذلين، ولكن ماذا نقول غداً لداود عليه السلام إذا جاءنا وقد علم بأننا لن نقضي يوم الجمعة في عبادة معه...؟ إننا لا نعلم ماذا سيفعل عندما يعلم بأننا غيرنا يوم العبادة إلى السبت دون إذنه!!

– سوف يرضخ لمطالبنا...

– ومن أخبرك بهذا يا يهوذا؟

– إننا غيرنا يوم عبادتنا ليلائم أشغالنا.. إن الحيتان لا تأتي قرب

الشاطئ إلا قليلاً، ونحن نريد أن نراقبها ونستعد لمهاجمتها وصيدها متى جاءت... هذا حقنا.

أما العبادة فهي في أي وقت بعد أن نصيد ونطمئن على أرزاقنا.

وبينما هم يتحاورون إذ أقبل عليهم شاب صغير فأخبرهم بمقدم داود عليه السلام إلى مدينتهم... خرجوا مسرعين إليه، كانوا يريدون أن يروا ماذا سيفعل بعد أن علم بنبأ يوم السبت، وليخبروه بقرارهم الجديد...

ذهبوا إلى دار كبيرهم حيث كان نبي الله داود عليه السلام عنده، ابتدرهم داود عليه السلام قائلاً:

- ويلكم يا سكان آيلة.. أتتركون ما أمر به ربكم وتحكمون لأنفسكم بأمر غيره؟

فقال كبيرهم بنيامين:

- لقد رأينا يا نبي الله أن يوم الجمعة طويل على العبادة.. نحن نعمل طوال الأسبوع أعمالاً شاقة ونريد أن ترتاح أبداننا يوم الجمعة ثم نعبد الله يوم السبت.

فقال داود عليه السلام:

تريدون يوم السبت للعبادة بدلاً من الجمعة الذي حدده الله لكم.

فرد يهوذا في عناد ظاهر:

نحن لن نجعل إلا السبت للعبادة..

- يا قوم، إنني أحذركم من غضب الله وعذابه.. لقد تماديتم في عصيان أنبيائكم، لقد أصبحتم مصرين على العصيان والجحود، أنسيتم نعم الله عليكم.. أنسيتم أن الله أنجاكم من جالوت وجنوده وأمَّنكم في دياركم وأبنائكم، لقد كثر الله أموالكم وقهر أعداءكم وبسط لكم في أرزاقكم.. اشكروا الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين.. الدار الآخرة ورضوان الله خير لكم من الدنيا وما فيها.

استمع بنو إسرائيل إلى داود عليه السلام وانفسموا إلى ثلاث فرق:

* فرقة بكوا خشية لله وإيمانًا به وتأثرًا بكلام داود نبي الله عليه السلام.

* وفرقة أخذوا يتغامزون على داود عليه السلام ويدّعون أنه لا يريد لهم الخير بل يريد منهم العبادة فقط ولا يهمه أن تضيع أرزاقهم.

* وفرقة ثالثة لا يتكلمون، يستمعون إلى هؤلاء وأولئك ثم يتبعون من يستميلهم بالمال والنفائس.

كانت تلك الفرقة كبيرة العدد، معظمهم فقراء يحتاجون إلى الطعام والكساء.

لاحظ كبير البلدة بنيامين حالتهم ورد فعلهم على ما حدث، فما إن ترك داود عليه السلام القوم وانصرف وهو يدعو لهم بالهداية حتى أرسل إليهم بنيامين ووزع عليهم الأموال والملابس والطعام الشهي.

وبهذا استمالهم إليه. صاروا لا يتحدثون إلا بلسانه ولا يأتمرون إلا بأوامره، لا يعملون في يوم الجمعة ولا يتعبدون في يوم السبت. كانوا خائفين من بنيامين.. ناسين أن الله هو الذي بيده الأرزاق... فسخرهم الشيطان...!!

أضحت مدينة آيلة بين يوم وليلة مشهداً للصراعات بين الخير والشر، بين الفرقتين اللتين اتحدتا: فرقة الشر والفرقة التابعة لها، وبين الفرقة الصالحة، التي ائتمرت بأمر نبي الله داود عليه السلام، وصارت تعبد الله في يوم الجمعة كما أمر الله، وتعمل يوم السبت كبقية الأيام..

غضب الله على تلك القرية فعاقب الظالمين منهم والتابعين لهم وعذبهم عذابًا أليمًا... علم الله خبث نفوسهم فاستدرجهم بأعمالهم السيئة إلى الهاوية من حيث لا يعلمون.

أمر الله عبده ونبيه داود عليه السلام أن يخبرهم بأن الله حرّم عليهم الصيد في يوم السبت.

وكأنما أمر الله حيتان البحر ألاّ تخرج إلى الشاطئ في كل الأيام إلا في يوم السبت ذلك اليوم الذي منعهم فيه من الصيد نكاية بهم لأنهم تحايلوا على شرع الله، واتبعوا أهواءهم وغيروا يوم عبادتهم الذي حدده الله تعالى لهم.

كانت الأيام والشهور التالية شاهدة على ما حدث لتلك المدينة. لقد أصبحوا ذوي تاريخ تحكيه كتب السماء. وشعوب الأرض. وصاروا ببغيهم – على مر الأزمان – عبرة لمن يعتبر!!

الحيلة الخبيثة

أصرّ بنو إسرائيل على العصيان، وتمادوا في الغي والطغيان، وغيروا يوم عبادتهم... فأمهلهم الله.. وأذن لهم في ذلك، ولقد أتى القرآن الكريم حاكيًا عن مواقف بني إسرائيل في نقضهم للعهود وتحايلهم على الشرع وعصيانهم أمر الله وجدالهم الأنبياء...

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٥ – ٦٦].

لقد أمرهم الله تعالى أن يلتزموا العبادة في يوم السبت، ذلك اليوم الذي حددوه لأنفسهم وقبل الله منهم ذلك التغيير، ونهاهم الله عن العمل في هذا اليوم، وعن الصيد فيه، لكنهم لم يستمعوا لأوامر الله ولم يجتنبوا نواهيه، لقد قام أخبثهم نفسًا بحيلة دنيئة ليتحايل على أمر الله..

ذلك أن الحيتان لا تقترب من الشاطئ إلا يوم السبت، فإذا كانت بقية الأيام لا يرونها أبدًا، أراد الله أن يمتحنهم ويرى ماذا سيفعلون تجاه هذا الموقف الغريب من الحيتان..

كان لرئيس المدينة بنيامين ولد مفسد يدعى عَمدان، كان يتميز غيظاً

كلما رأى حوتًا يوم السبت ولا يستطيع أن يصطاده للأمر الصادر من الله تعالى والذي بلغهم به نبيهم داود عليه السلام..

كان يفكر ليل نهار في حل هذه المشكلة، لم يكن عمدان يذهب إلى المعبد مطلقًا، لم يُرَ يومًا يصلي لله أو يذهب إلى داود عليه السلام، كان يعصي الله بكل الوسائل.

أصبح عمدان رئيسًا للصيادين، وكان معظم سكان المدينة من الصيادين، رأى عمدان ما تفعله الحيتان، تأتي يوم السبت وتغيب باقي الأيام، أخذ يفكر في حيلة يتوصل بها إلى الحيتان، لو ظلّ الوضع على هذا الضنك لتمرد عليه الصيادون ولاضطر أبوه إلى عزله من منصبه.

أخذ يفكر ويفكر.. محاولاً إيجاد أي حل للوصول إلى هدفه؛ الحيتان. فجأة أوحى له شيطانه فكرة جهنمية، لماذا لا يطيع وفي نفس الوقت يرضي الصيادين، ويغتني من صيد الحيتان، سوف يحتكر ثلاثة أرباع الحيتان لنفسه، وعلى الصيادين أن يكتفوا بالباقي ولا يطمعوا إلى ما هو أكثر.. إنه رئيسهم وعليهم أن يضحوا من أجله.

سيبيع الحيتان ويكسب أموالاً ضخمة، سيصبح أغنى رجل في بني إسرائيل، سيشترى التجار منه لأنه ابن رئيس المدينة سيأخذ التجار الحيتان بأغلى الأثمان، يأكل الناس لحومها، ويستغلون زيوتها، ليس له شأن بذلك،

كل ما يشغل تفكيره أن يستفيد من المال الكثير الذي سيجنيه من تلك الوظيفة السهلة، حقًا لقد خدمه أبوه خدمة عظيمة عندما جعله رئيسًا للصيادين.

قرر عمدان أن يتربص للحيتان، إذا كان يوم السبت كانت الحيتان تقبل عليهم شرعًا[1] فإذا ذهب السبت ذهبت، . .

اقترب عمدان من الشاطئ دون أن يراه أحد، كان الوقت ليلاً، أخذ خيطًا عظيمًا فربط حوتًا إلى وتد على الشاطئ حتى يحبس الحوت فلا يذهب إلى وسط البحر إذا ذهب السبت.

فلما أقبل الصباح وكان يوم الأحد ذهب إلى الشاطئ مع الصيادين كعادته فوجد الحوت الضخم وقد رُبط إلى الوتد.

فتعجب الصيادون من منظر الحوت. . قال لهم عمدان:

- لقد فكرت لكم أيها الأغبياء، لقد عمدت ليلاً إلى هذا الحوت فربطته في الوتد واصطدناه معًا اليوم. . الأحد. . نحن إذاً لم نصطد صيداً يوم السبت، هكذا نكون قد أطعنا الله وفي الوقت نفسه انتفعنا وتغلبنا على تلك الحيتان الماكرة. .

---

(١) شرعًا: ظاهرة عى وجه الماء كثيرة.

– أحسنت يا عمدان، لقد أثبت أنك جدير بهذا المنصب الجديد.. لقد أثبتّ أنك أكثرنا ذكاء وحسن تصرف..

– هيا أيها الصيادون أشعلوا لنا ناراً عظيمة حتى نشوي هذا الصيد الثمين... هيا أيها الأغبياء.. هيا..

أخذ عمدان يضحك ويضحك فرحاً بنفسه، ظنّ أنه تغلب على حُكم الله تعالى، كان مغروراً جاهلاً، لم يكن يعلم أن الله تعالى يستدرجه بظلمه لنفسه إلى عذاب أليم وسخط ومسخ بشع.. كان فرحًا بحيلته، صمم كل الصيادين على أن يقتدوا به، ما عدا جماعة من المؤمنين الطائعين، كان الصيادون يذهبون كل سبت إلى شاطئ البحر فيتربصون للحيتان ويختبؤون لها بين الصخور فإذا ما اقتربت أسرعوا بفرد شباكهم المتصلة بالأوتاد على الشاطئ تحت الماء، فلا تستطيع الحيتان أن تتخلص من هذا الكمين وتقع في الفخ، وعندئذ يتركونها إلى الصباح عائمة في الماء، ثم يعودون إليها في الصباح الباكر لأخذها والانتفاع بها..

كانوا غافلين عن الله، ناسين سخطه، ظنوا أنهم أمنوا عقابه؛ لأنهم لم يخرجوا من البحر يوم السبت، لقد كان الله يبتليهم فقط بأن جعل الحيتان لا تأتي إلى الشاطئ إلا يوم راحتهم، ذلك بظلمهم وعصيانهم وتجاهلهم أوامر الله، ولكنهم لو صبروا على ابتلاء الله وعبدوه وأطاعوه واتبعوا كلام داود

عليه السلام لرفع الله عنهم البلاء ولعادت الحيتان تأتيهم طوال الأسبوع كما كانت تفعل، هذه سنة الله في خلقه ولا تبديل لسنة الله.

obeikandl.com

غضب النبي داود عليه السلام

علم داود عليه السلام بما فعلوا... ذهب إليه بعض المؤمنين وقالوا له:

– يا نبي الله، لقد تآمر عمدان بن بنيامين، وحبس الحيتان في الشباك تحت الماء يوم السبت، ثم جذبها إلى الشاطئ يوم الأحد، وقد قلده الصيادون.

نحن نخاف أن ينزل علينا غضب الله ونحن معهم بسبب عصيانهم.

ماذا نفعل يا نبي الله؟!

– ماذا تقولون؟ هل وصل التآمر بهم حتى على شرع الله، لقد زاد تجبرهم وتمردهم، ويلٌ لهم من غضب الله.. ويلٌ لهم.. خرج داود عليه السلام مع المؤمنين إلى أهل آيلة المدينة الظالمة حاضرة البحر، ذهب للقاء عمدان والصيادين، قابل عمدان نبي الله بتكبر وقال:

– ماذا تريد منا يا داود.. أتريد أن نظل بلا صيد، كيف نحيا إذن، نحن نعيش على صيد الحيتان.

– يا قوم، اتبعوا أوامر الله، لئن صبرتم ورجعتم إلى الله أمر الحيتان أن تأتيكم في غير يوم السبت، بدلاً من أن تحتالوا على شرع الله، ارجعوا إلى بارئكم، توبوا إليه.. اعملوا صالحًا.. إن العمل الصالح يرفع البلاء.

يا قوم، اتقوا الله ولا تطمعوا فيما لم يُقسم لكم، لقد أوحى الله إليّ:

– يا داود: إنك تريد وأريد، وإنما يكون ما أريد، فإن سلّمت لما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد.

يا قوم، إن هذه الحياة الدنيا فانية وإن الآخرة هي دار القرار.

ياقوم، إن الله توعد الظالمين بالنار وبسوء العاقبة.

يا قوم، لا يغرنكم إمهال الله لكم، إن الله يمهل ولا يهمل.

قال عمدان:

– لقد أطلت علينا يا داود، ونحن نريد أن نذهب إلى نادينا نلهو ونلعب، أنت كثير الكلام فيما لا يفيد.

– اتق الله يا عمدان، إن الظالم للناس لا يأمن غضب الله عليه.

– ما ظلمتُ أحداً، إنني أصطاد حقي، ولا أمنع أحداً من الصيد.

– إنك تأخذ ثلاثة أرباع الحيتان وتترك لبقية الصيادين الربع، إنك تصيد يوم السبت فتأخذ كل الحيتان، فإذا ذهب الصيادون المؤمنون للصيد يوم الأحد وباقي الأيام لم يجدوا شيئًا.

– هم أغبياء، لقد فكرت بعقلي وأرشدني إلى هذه الحيلة، إنني ذكي.. ولذلك أصبت الكثير وهم ما زالوا فقراء.

– أتحسب أنني غافل عن أفعالك يا عمدان؟ أنت دائمًا تظلم الناس وتروعهم، حتى الصيادين الذين يتبعونك تظلمهم، إنهم يتبعونك لأنهم ضعفاء يخافون منك، لقد عصوا الله فأذلهم الله لك أيها الظالم، ألا تعلم ما حدث لأحد الظالمين في زمن أخي نبي الله موسى؟

– وماذا حدث له..؟!

– خرج رجل من ضعفاء بني إسرائيل ليصطاد السمك ويقوت منه أطفاله وزوجته، فوقعت في شبكته سمكة كبيرة ففرح بها فأخذها ومضى بها إلى السوق ليبيعها ويصرف ثمنها في مصالح عياله فلقيه ظالم متجبر يأكل حقوق الناس فرأى السمكة معه فأراد أخذها منه، فمنعه الصياد، فرفع الظالم خشبة كانت بيده فضرب بها رأس الصياد ضربة موجعة، وأخذ السمكة منه غصبًا بلا ثمن، فدعا الصياد عليه وقال:

– إلهي.. جعلتني ضعيفًا وجعلته قويًا عنيفًا فخذ لي حقي منه عاجلاً فقد ظلمني ولا صبر لي إلى الآخرة.

ذهب الغاصب إلى بيته بالسمكة وسلمها إلى زوجته وأمرها أن تشويها

فلما شوتها قدمتها له ووضعتها بين يديه على المائدة ليأكل منها، فلما اقترب منها بيده فتحت السمكة فاها وجرحته في إصبعه جرحًا أطار عقله، فقام وشكا إلى الطبيب ألم يده، فلما رآها قال له: إن الحل والدواء في قطع إصبعه، لئلا يسري الألم إلى بقية الكف، فقطع إصبعه فانتقل الألم إلى الكف واليد، وازداد التألم وارتعدت من خوفه أعضاؤه، فقال له الطبيب:

– ينبغي أن تقطع اليد إلى المعصم لئلا يسري الألم إلى الساعد. فقطعها، فانتقل الألم إلى الساعد فما زال هكذا كلما قطع عضواً انتقل الألم إلى العضو الآخر الذي يليه، فخرج هائمًا على وجهه مستغيثاً إلى ربه ليكشف عنه ما نزل به، فرأى شجرة فقصدها فأخذه النوم عندها فنام.

فرأى في منامه قائلاً يقول:

– يا مسكين، إلى كم تقطع أعضاؤك؟! امض إلى خصمك الذي ظلمته فأرضه.

فانتبه من النوم وفكّر في أمره فعلم أن الذي أصابه لظلمه الصياد، فدخل المدينة وسأل عن الصياد وأتى إليه، وطلب منه العفو والسماح على ذنبه ودفع إليه شيئًا من ماله، فرضي الصياد وسامحه، وتاب الظالم من فعلته فسكن في الحال ألمه وبات تلك الليلة يستغفر ربه، فردّ الله تعالى عليه يده كما كانت.

فأوصى الله نبيه موسى عليه السلام:

« ياموسى، وعزتي وجلالي لولا أن ذلك الرجل أرضى خصمه لعذبته مهما امتدت به حياته ».

فاتعظ يا عمدان، ولا تأمن غضب الله، وأنتم يا من اتبعتم الشيطان ونسيتم أمر الله وتحايلتم على شرعه، ارجعوا إلى ربكم ولا تتمادوا في الضلال فإن الله يتوب على من تاب ويغفر السيئات.. إن الله غفور رحيم، ولا تأمنوا مكر الله.

قال له الذين اتبعوا عمدان:

– لقد سمعنا أوامرك يا داود فهربت منا الحيتان، لقد صرنا نجلس نتحدث كالنساء ولا نجد ما نعمله..

ادعُ لنا ربك كي يجعل الحيتان تأتي لنا في غير السبت، فإن استجاب لك ربك انتهينا، وإلا فنحن سنستمر في عملنا كيفما شئنا.. ولا شأن لك بنا يا داود..

ظل داود عليه السلام يجادلهم بالتي هي أحسن إلى أن جاء الليل وهم مصرّون على عنادهم وتكبرهم، غضب المؤمنون من ظلم سكان مدينتهم آيلة، استأذنوا نبي الله في قتالهم، وأذن لهم داود عليه السلام لأنه أراد أن ينهى عن

المنكر بأي وسيلة، لقد استعمل الرفق واللين فلم يفلح معهم، لقد عبدوا الشيطان من دون الله..

حاربهم المؤمنون، جُرح كثير من الفسقة، ولكنهم أ صرُّوا على عنادهم، هرب عمدان إلى بيته، كان جبانًا يخاف القتال.

رآه أحد المؤمنين فلحق به دون أن يلحظه. دخل البيت خلفه، أحس عمدان بمن دخل خلفه، التفت إليه فلما عرفه، كان هناك كلب ضخم يخص الرجل المؤمن، كان يتبعه أينما ذهب، رأى أن صاحبه يريد أن يصارع عمدان،.

هجم الكلب على عمدان فأوقعه قرب النار التي في كوة المنزل للتدفئة احترقت يد عمدان. صرخ صرخة عظيمة ثم فقد وعيه.

ظلم عمدان نفسه وظلم الناس، أحرق الله يده ليذكره بأنه قادر عليه وعلى عقابه..

انتهت المعركة بين الطرفين، انتهى الفريقان إلى حل يحسم الخلاف بينهما، قال العاصون للمؤمنين:

– سنبني حائطًا بيننا وبينكم، ونقسم بيننا المدينة قسمين كل فريق حر التصرف في الجزء الخاص به..

بنى الفريقان الحائط الكبير، علم داود عليه السلام بما حدث، علم أن بني إسرائيل مصرون على المعصية، دعا داود عليه السلام عليهم لكفرهم بآيات الله وإصرارهم على العصيان..

اجتمع المؤمنون مع بعضهم.. كان منهم رجال يقولون:

– ماذا أحزنكم.. دعوهم في ظلمهم.. إن الله سيهلكهم بظلمهم..

فيرد عليهم آخرون:

– إننا أُمرنا بتغيير المنكر، وإلا أخذنا الله بذنبهم..

– اذهبوا إلى داود نبي الله وأخبروه بإصرارهم على فعلهم..

– إن داود عليه السلام لعنهم ودعا عليهم، وإنهم بإصرارهم على معصيتهم، يعرضون أنفسهم لعذاب الله.. وسينزل بهم عمّا قريب.

لقد حكى القرآن الكريم لنا حالة أصحاب السبت، وأخبرنا بنبأ تفرقهم.. قال الله تعالى:

﴿ وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾. [الأعراف: ١٦٣، ١٦٤]

نهاية الظالمين

استمر سكان آيلة من بني إسرائيل في عصيانهم وظلوا يصطادون الحيتان بالطريقة نفسها مستخدمين حيلتهم الدنيئة، اشتد غضب الله عليهم وكذلك، نبيه داود عليه السلام ، أمهلهم الله لكنه لم يغفل عنهم.

نزل عليهم العذاب تباعًا.. أخذوا يحاربون بعضهم بعضا أولاً، ذلك أن عمدان استمر يأخذ منهم ثلاثة أرباع الحيتان التي يأخذونها من البحر في يوم السبت، اجتمعوا دون علمه. قرروا أن يقتلوه، لقد زاد ظلمه وهو لا يتراجع، زاد بغيه ولم يعمل لهم حسابًا، اتفقوا على أن ينقضوا عليه انقضاضة رجل واحد.

تسلقوا جدران داره، ودخلوا إلى غرفته، انقضوا عليه وهو نائم في سريره، أغمدوا السكين في صدره. نظر إليهم أبشع نظرة رعب، ثم خمدت أنفاسه إلى الأبد.

سمع أبوه بنيامين صوت أقدامهم وهم يتسلقون جدران الدار ليخرجوا منها. أسرع ليمسك بهم فلم يلحقهم لكنه عرف بعضهم، وفي الصباح أرسل جنوده ليقبضوا عليهم، كان مقتل عَمدان حادثة هزت أركان آيلة، لقد سقط أبوه بنيامين طريح الفراش، وقُتل من قتل، لكن سكان آيلة

المفسدين ظلوا على حالتهم، يصطادون بشباكهم المربوطة إلى الأوتاد ويخرجون الحيتان في اليوم التالي، كانوا كلما ازداد نبي الله داود عليه السلام لهم نصحًا، ازدادوا هم بُعدًا ونفوراً، صبر عليهم داود عليه السلام صبراً جميلاً، كان يدعو الله دوماً أن يهديهم، لكنهم كانوا قومًا كافرين فاسقين فحق عليهم العذاب، هذه سنّة الله في خلقه، ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً** ﴾ [الإسراء: ١٦].

لقد غضب الله على آيلة لإصرارهم على المعاصي فكان عقابهم أليمًا ومن جنس عملهم الخبيث.

كانت المدينة منقسمة إلى قسمين، مفصولة بحائط كبير عن بعضها، وذات صباح دخل أحد المؤمنين ليزور أهله في القسم الخاص بالعاصين، ذهب إلى دار أبيه وأمه وإخوته..

كان يمر على الناس فيرى وجوههم مسودة من أثر المعاصي، يرى الخطيئة وغضب الله ظاهرين في ملامحهم.

حزن العبد المؤمن، لما صار إليه قومه من البعد عن الله، ولما صارت إليه فرقتهم وعداوتهم بعد أن كانوا أهلاً وإخوة وجيرانًا.

ذهب إلى داره، طرق الباب، خرجت له أمه، أخذته في أحضانها بكت

لشوقها له بكاءً طويلاً. قال لها وهو يمسح دموعه:

– لماذا يا أماه تصرون على المعصية؟ لقد فرقت المعصية بيننا.

– أنت يا ولدي لا تفكر بعقلك. لقد تركت حكمتك جانبًا، لقد تركت الصيد والبحث عن الرزق وجلست مع داود يعلمك نصائحه وتعاليمه التي لا تسمن ولا تغني من جوع، عد لعقلك واتبع ما عليه أبوك وإخوتك واترك رفاقك الذين هجروا ديارهم، عد إلى أحضان أمك العجوز يا ولدي الحبيب رفقًا بأمك في شيخوختها يا ولدي.

فكر العبد المؤمن في كلام أمه، كاد أن يتراجع عن إيمانه وبعده عن المعصية لكنه تذكر وصايا داود عليه السلام وآيات الزبور، تذكر إيمانه بربه، تفكر فيما يفعله قومه فوجد أنهم يتحايلون على الشرع، يصرون على المعصية. وصل إلى قرار، فضل الدين على الدنيا وإن تعب، فضل الآخرة على الدار الفانية، طمع فيما عند الله فما في الدنيا يفنى وما عند الله باق لا يزول.

ترك أمه وأخذ يعدو ليخرج من ديار الظالمين، دعا لأمه وأهله بالهداية والعودة إلى الحق والرشاد.

كان يشعر في قرارة نفسه أن الله غاضبٌ على قومه وأن عذابه لهم مقبل لا محالة.

أسرع بالخروج من المدينة حتى لا تنزل لعنات الله عليها وهو فيها، ذهب إلى رفقاء الخير والإيمان، احتضن أحب إخوانه في الله وضمه إلى صدره بقوة، أحس بلذة الأخوة في الله، أحس بالسكينة تعود إلى قلبه، امتلأ قلبه بنور اليقين وحلاوة الإيمان، ندم على همه بالعودة إلى المعصية عندما اشتد حنينه لأمه، تذكر أن الأم لها حق عظيم ولكن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، الله أحب إليه.

أقبل اليوم التالي، كانت الليلة التي سبقته ليلة عاصفة قوية الرياح وكان البحر هائجاً، والسماء غائمة مليئة بالسحب السوداء.

لكن البحر هدأ هياجه مع طلوع الشمس وكذلك كفت الريح عن الصفير، خرج المؤمنون من ديارهم، خرجوا لأعمالهم، ذهب كثير منهم للاطمئنان على أقاربهم وأهليهم بعد تلك الليلة الرهيبة، دخلوا المدينة فوجدوا طرقاتها خالية، وجدوا البيوت كلها مغلقة، نادوا على من يعرفون فلم يجيبوهم، لم يسمعوا سوى صدى الصوت، تسوروا جدران بيوتهم فاندهشوا وأصابتهم رعدة الخوف والرعب من هول ما رأوا.

لقد كان منظراً رهيباً، رأوا قردة وخنازير، صار القرد يقترب من أحدهم ويتمسح فيه فيعرف فيه أخاه أو ابنه، ويرى في الخنازير أباه أو أمه، حوّل الله شباب المدينة قردة، وحوّل شيوخها خنازير ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ

مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ غضب الله عليهم، فمسخهم وحول خلقتهم كما حوروا شرعه وبدّلوه.. هلك العاصون ونجا من نهاهم عن المعصية، ونجا كذلك من قال: **﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾**. نجا الفريقان وهلك الفريق الثالث، هذه نهاية الظالمين، رأى المؤمنون كل من يعرفون في بيوتهم، كانت بيوتهم مغلقة عليهم من الداخل، دخلوا بيوتهم ليلاً لينام وا وأغلقوا على أنفسهم كعادة جميع الناس.

فمسخوا قردة وخنازير، كان المؤمنون يعرفون الرجل بعينه وإنه لقرد، والمرأة بعينها وإنها لقردة، والصبي بعينه وإنه لقرد، والشيخ بعينه وإنه لخنزير.

مكثوا على حال مسخهم ثلاثة أيام ثم ماتوا، وعليهم لعنة الله، كانوا لايأكلون ولا يشربون ولا يتناسلون، فهذه حال المسخ.

عاقبهم الله عقابًا أليمًا جزاء عصيانهم وإصرارهم، وهذا جزاء الظالمين.

عبر ودروس في قصة أصحاب السبت

تتنوع القصص في القرآن بتنوع أهدافها ودروسها، ولكن تبقى حقيقة ثابتة هي أن كل القصص تهدف إلى تقويم الإنسان وإصلاحه وتهيئة الحياة الكريمة له في الدينا والفوز بنعيم الآخرة المقيم ولذلك جاء قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾.

وفي هذه القصة عبر ودروس نوجز بعضها فيما يأتي:-

١- الظلم عاقبته وخيمة، لذا يجب علينا أن نبتعد عنه وأن نحذر الناس منه، وفي هذه القصة نرى نهاية ظلم أصحاب السبت لأنفسهم ولغيرهم. حيث منعت عنهم النعم جزاء وفاقا لما قدموا وما كسبته أيديهم.

٢- الشكر يزيد النعم ويجلب المحبة من الله ومن الناس، أما الجحود والنكران فيمحق النعم ويجلب البغضاء من الله ومن الناس، ولقد علم الله بني إسرائيل درسًا في الطاعة وشكر النعم فهل امتثلوا واستجابوا أم لم يغيروا طبيعتهم في الخبث والمكر وعدم الطاعة؟

لذا يجب علينا أن نطيع الله ونشكره على نعمه، فقد أكد سبحانه أن الشكر يزيد النعم وأن الكفر يمحقها والعاقل من يتعظ.

٣- التحايل على الإنسان والمكر به من الصفات السيئة التي تضر الإنسان ولا تنفعه، ولنا أن نتعظ مما فعل بنو إسرائيل عندما تحايلوا على أمر

الله لهم الذي بلغهم إياه النبي داود عليه السلام، حيث أمرهم أن يلتزموا بالعبادة يوم السبت ولا يعملوا فيه، لكنهم بخبثهم تحايلوا على أمر الله عندما رأوا أن الحيتان لا تظهر إلا يوم السبت.

ومن هنا عاقبهم الله بسبب ذلك ومنع عنهم الحيتان.

٤- عدم اتباع الرسل يورث غضب الله على الإنسان وبالتالي يتعرض لعقاب الله جزاء عصيانه ومخالفة أمر الله ورسله.

وهذا درس يعيه أصحاب العقول النيرة حتى يتقوا عضب الله ورسله ويلتزموا الطاعة والامتثال، وفي هذا سعادتهم في الدينا والآخرة.

٥- لكل ظالم نهاية أليمة خاصة إذا نصح ولم ينتصح، بل عاند واستمر في ظلمه، وهكذاكانت نهاية بعض بني إسرائيل عندما استمروا في عصيانهم، وخرجوا على نبيهم.

لقد اشتد غضب الله عليهم فمسخهم وحولهم إلى قردة وخنازير.

عاقبهم الله هذا العقاب الأليم وجعل قصتهم قرآنا يتلى إلى قيام الساعة وهذا جزاء الظالمين.

فهل يعتبر كل إنسان بهذه العاقبة ويتقي غضب الله ويلتزم طاعته وامتثال أمره.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٧
المعركة العظيمة	٩
عودة إلى الظلم	١٦
حاضرة البحر	١٩
الحيلة الخبيثة	٢٤
غضب النبي داود عليه السلام	٢٩
نهاية الظالمين	٣٦
عبر ودروس	٤١
المحتويات	٤٣

obeikandl.com